

كأمهات، نحن نعتبر مصدر سكون وحب لأطفالنا

سأحظى اليوم بفرصة الالتقاء بثلاث نساء يعشن في المنطقة التي تم إنشاؤها والواقعة بين حدود مدينة بغداد والمناطق الريفية المحيطة بها. إن أولئك النسوة يضحين بحياتهن من أجل الاعتناء بأطفالهن.

وحسب ليلى، فقد رحلت العديد من النساء من المدن والمناطق الريفية على أمل إيجاد فسحة للعيش هنا. وعلى أية حال، فالواقع يقول بأنهن يناضلن ويبدلن كافة ما بوسعهن من أجل البقاء على قيد الحياة يومياً بيوم. إن العديد من النسوة هنا يعتبرن المسؤول الوحيد عن إعالة الأسرة، وتحديدًا النساء الأرامل اللواتي توفي أزواجهن خلال الحرب وتركوهن وحيدات للعناية بأطفالهن.

"العديد من أولئك النسوة لا زلن صغيرات في السن ولسن عجائز كما كانت في السابق توحى إلينا كلمة الأرملة"، تقول سهير مضييفة أنه "مع النقص في كمية الطعام والوقود، فقد أصبح توفير لقمة العيش لعائلاتنا أمراً غاية في الصعوبة. وعندما نستيقظ في الصباح، فإن أول ما نفكر به هو توفر الكهرباء والوقود، ونفكر أيضاً كيف سنقوم بوضع الطعام على مائدة الإفطار".

"إن نقص الطعام والكهرباء يخلق المزيد من الصعوبة لنا، ويتوجب علينا أن نحفر عميقاً في الأرض لحفظ الماء الذي نقوم بإحضاره من نهر دجلة لغايات الاستحمام وغسيل الملابس. في الماضي لم نكن نشعر بنقص المياه على الإطلاق فيما كانت الكهرباء تقطع عنا لمدة أربع ساعات يومياً ثم تعود لمدة ساعتين، وهكذا. أما اليوم فإن الكهرباء في بعض الأحيان لا تأتينا سوى ساعتين فقط لتبقى بعدها مقطوعة لمدة يومين".

وتخاطر أولئك النسوة بحياتهن عن طريق قيامهن ببيع أي شيء يقدرن عليه (في الغالب بيع المحارم الورقية والعلكة) الخ... في المناطق الساخنة. "لقد كانت هذه الظاهرة بالكاد ظاهرة قبل عام 2003. ونحن النساء نواجه مخاطر جمة من خلال قيامنا بذلك. إن مخاطر فقداننا لحياتنا وحياتنا أطفالنا منا هي أمور مستمرة، ويتوقف دماغك عن التفكير بمجرد مشاهدتك لسيارة بالقرب

منك وأنت تغادرين إلى عمالك، فالخوف أن تكون تلك السيارة مفخخة. ولم يعد هتالك أية سيارة في الشوارع عند مدخل هذه المنطقة وذلك لأن الناس قد أصبحوا يخشون من تفجيرات السيارات".

وحتى في أوقات الصيف، فنحن نقوم ببيع الكاز على قارعة الطريق تحت درجة حرارة تصل إلى ما يقارب من 60 أو 70 درجة مئوية. وكذلك فإننا نذهب إلى محطة الوقود ونقف في طابور لساعات طويلة للحصول على كمية ضئيلة مقابل عملنا الشاق. ويتوجب علينا الذهاب إلى السوق بشكل يومي وذلك لنقص التيار الكهربائي الذي يفرض علينا شراء طعام يومنا فقط خلال الصيف خشية من تلف الباقي لعدم توفر الإمكانيات بحفظه داخل ثلاجات التي نادرا ما يتم استعمالها وإن استخدمت فهي لم تعد تستخدم للغاية التي وجدت أصلا من أجلها بل أنها تستخدم في المنازل حاليا على أنها خزانة إضافية لحفظ الطعام".

وليس بمستغرب القول بأن الخوف يعيش في أذهان أولئك النسوة الشجاعات، وخصوصا عند ذهابهن من أجل الحصول على لقمة عيشهم إلى أماكن تشتهر باندلاع أعمال العنف فيها والأسواق ومحطات الوقود والأماكن المزدهمة.

"تنتاب الأم نوبة من الذعر لدى سماعها صوت انفجار سيارة أو صوت إطلاق نار، ونتسائل في أنفسنا إن كان أحد أطفالنا قد ذهب ضحية لهذا الانفجار. وكأمهات، فإننا لا نستطيع إخفاء الحقيقة التي تجثم على عتبات بيوتنا والتي تتمثل بقيام أولادنا برؤية وجوه العديد من القتلى بشكل يومي، حيث أصبحت تلك المناظر أمرا عاديا ومألوفا في حياتهم. وعلى أية حال، فنحن كأمهات أيضا نحافظ على السكون والمحبة بالنسبة لأطفالنا، ولذلك فإنه ينبغي علينا إخفاء عواطفنا وعدم إظهارها إلا لأنفسنا كيلا لا ينتاب أطفالنا أي شعور بالخوف أو القلق".